لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ



الحمد لله رب العالمين أوضح المحدّة وأبان السبيل للمؤمنين فندت بعد نزول القرآن وبيان سيد ولد عدنان واضحة المعالم بينة الركان فالحمد لله الذي هدى وبين والحمد لله الذي أرشد وعلم وهو جلّ وعلا وعلا للحمد أهل ولا يعلم حقيقة ذلك إلا من رأى الشبهات في هذه الدنيا وما تؤول إليه ورأى كيف تكون منازل السعداء في الآخرة فإنما هي لمن أتى الله بقلب سليم سلّم سلّم سلّم من الشبهات وسلم من كلاب الشهوات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين أمًا بعد: فموضوع هذه المحاصرة بعنوان ((الفكر والعلم)) وإذا ذكر الفكر فإنه يتبادر غلىالذهب ما شاع في هذا العصر مما يسمّى ((الفكر الإسلامي)) و((المفكر الإسلامي)) وهذا الاصطلاح جديد في تاريخ هذه المة، فإن المة في تاريخها عرفت أنواعًا حن الذين يتكلمون ويكتبون منهم أنهل الإختصاص بالعلم إما المفسر وإما المحدث وإما اللغوي وإما الفقيه وإما المؤرخ أو الأديب أو الفيلسوف أو عالم الإجتماع إلى آخر أنواع العلما والكبئبة في تاريخ الأمة.

أمًا هذا المصطلح ((فكر إسلامي)) أو ((المفكر الإسلامي)) فإنه اصطلاح جديد ومعلوم عند أهل الشرع والمحبين للعلم وللديانة إنّ المور إنما توزن بالعلم لن العلم نزل من عند الله جلَّ وعلا ليكون حاكمًا على الناس غير محكوم فإذا ظهرت اصطلاحات أو استجدت أحوال فإن المرجع في فهمها إنما هو إلى العلم فما هذه الصلة التي بين الفكر والعلم وهل هذا الفكر الذي يسمى ((فكرًا إسلاميًا)) هل هو ممدوح كله أو هو مذموم كله وكيف هي الصلة بين الفكر والعلم وبحوث متصلة بذلك من المهمات أن يتعرض لها لنك ترى في هذا الزمن كثر الذين يتكلمون عن الإسلام باسم الفكر ومنهم من عنده أخطأ بسيرة، ومنهم من يسمى ((مفكرًا إسلاميًا)) وإنما هو مفكر ليس باللإسلام وإنما يفكر برأيه وبطريقته وبما يهوى فطهرت مدارس مختلفة في الفكر والتفكير وظهر مفكرون متنوعون وهذا الذي ظهر من الفكر والمفكرين وما يسمى ((بالفكر الإسلامي)) في العصر الحديثظهر ونشأ ولظهوره ونشأته أسباب ومن أعظم أسباب ذلك كثرت الهجوم على الإسلام في العصر الحديث فإن إبتعاد قلب الأمة عن عقيدتها وتاريخها وعن حضارتها وعن ما ضيها وعن مؤهلاتها نشأ في العصر الحديث مع المدّ الإستعماري والمد الإستعماري كانت له وجهتان وجهة عسكرية وهذه ظهر منها الأستعمار والكُلُ يعلم عن حقيقة ذلك الإستعمار العسكري وله وجهةً أخرى وهي الاستعمار الثقافي والتبعية الثقافية حتّى صـار في المسلمين من يكون تابعًا في فهم الإسلام لإعداء الإسلام وأولئك الأعداء تمثلوا في المستشرقين والمستشرقون لهم كتابات متنوعة في تحليل أهداف افسلام وتحليل أحكامه وتحليل أرائه وتحليل تاريخه وتحليل قضاياه إلخ ذلك فقام طائفة في البداية يتكلمون عن تلك المسائل التي طرقها المستشرقون أعداء الملة وأعداء الدين وأعداء هذه المة تكلموا عنها بنفس منطقهم لأجل أن يقنعوا الناس وأن تكون اللغة بينهم مَتَعارَفَة فلم يردوا عليهم بالعلم وإنما ردوا على أفكار المستشرقين غير الإسلامية بأفكار مماثلة في الصيغةت وفي الاستنتاج والاستدلال والأخذ والعطاء والمراجع والمصادر ووسيلة الإقناع حتّى صار ذلك فكرًا مقابلأ لفكر فظهر الفكر الإستشراقي وفي المقاب لظهر فكر آخر سُمِّيَ فيما بعد الفكر الإسلامي لنه يقابل ذلك الفكر الاستعماري الاستشراقي ولهذا صار أول ما نشأ هذا الفكر ونشأ المفكرون راجعٌ ذلك إلى الدفاع عن الإسلام وإلى رد هجمات المستشرقين وهجمات أعداء الإسلام فكل من أرلاد أن يرد وكل من أراد أن يدافع من المثقفين أو من العلماء أو ممن عنده بدايات علم أو ممن عنده اطلاع وقراءة عامة كتب في الدفاع عن الإسلام حمية له وبيان المحاسنة وردًا على المفتريات باسم الفكر ليسوا بعلماء ولكنهم كتبوا هذه الكتابات فظهر أنّ هؤلاء مفكرون اسلاميون منهم من تخصص في ذلك حتّى غدا ما يكتبه وما يؤلفه في هذا المضمار وخصوا بهذا الإسم باسم المفكرين الإسلاميين وما يكتبونه باسم الفكر الإسلامي لا شك أنه في هذا الجيل أيضًا يعني في القرن هذا القرن العشرين أو القرن الرابع عشر الهجري الذي سلف لا شك أنه ظهرت مشاكل إعلامية مشاكل من جهة الإلتزام بالدين والقناعة به مشاكل اقتصادية، شبهات تتعلق بالسياسةت شبهات تتعلق بالاقتصاد شبهات تتعلق بتاريخ الإسلام شبهات تتعلق بموقف علماء الإسلام شبهات تتعلق بالنصوص وما مدى العمل بالنص؟ القواعد وما مدى العمل بالقواعد؟ وأصول الفقه إلى آخر تلك المسائل فظهرت مشاكل وشبهات في هذه الأمور فظهر أولئك المفكرون ليدلوا بدلوهم في بيان حقيقة ما عليه المة في هذه العلوم وذلك المضمار فظهرت كتابات متنوعة لا شك أن تلك الكتابات التي ظهرت تتطلب علمًا تتطلب معرفة، تتطلبِ ثقافة والجميع لواجتمع لحصلت نتائج سليمة لكن خاض غَمْرَةَ ذلك لقصد نصرة الإسلام ولبيان حقائقه خاضر غمرة ذلك من ليس عنده إلأ الثقافة أو عنده بعض المعلومات التاريخية أو عنده بعض الاطلاع العام ولكن ليس عنده علم فظهر في كالامهم صواب وظهر في كالمهم خطأ كثير فمزجوا الصواب الخطأ وسبب ذلك الفكر كما سيأتي إيضاح ذلك أيضًا لما خطرت تلك المدارس المختلفة الفكرية يعني من وجهات النظر المختلِّفة في علاج مشاكل المسلمين وفي الرد على الأعداء لا شك أنه سيحصل نوع من التحزب نوع من الرجوع إلى أولئك المفكرين، فكل من أعجب بفكرة عالم، كل من أعجب بفكرة مثقف ستكون التبعية لذكل، فظهر بعد ذلك مفركون تبعوا المفكرين الأصليين، أو ظهر فكر يتبع أساسيات تلك الافكار حتى توسعت الشقة وحتى ابتعدا طرفا الطريق فتوسع جدًا وكثرت الطرق من اجل كثرة افكار الذين ابتداوا بذلك الفكر فننظر مثلا إلى ان اول من دخل في هذا المضمار جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ومن بعده محمد رشيد رضا ثم ظهرت الافكار في الجانب الاخر من مثلاً أفكار عباس العقاد أفكار وطه حسين أو أفكار ... الخ وهؤلاء كل بحسب ما عنده الخط الأول عنده علم كثير ولكن لأجل الضعف عن مواجهة الغرب بكل شبئ صاغوا أساليبهم بأساليب فكرية فظهر عندهم من الأخطاء حتّى تجاهلوا أصولاً عظيمة في الإسلام من أصول الغيبيات ونحو ذلك والطرق الأخر من المدرسة الجديدة ارادت أن ترد ولكن باستخدام لغة المستشرقين حتّى غدا ذلك التأثير بيّنًا ظهرت بعد ذلك الجماعات العاملة الجماعات الإسلامية فظهر لكل مدرسة من تلك الجماعات من يمثل فكرها بكتابات ففي الباكستان ظهرت هناك الجماعة الإسلامية وظهر لها من يمثل فكرها كأبي الأعلى المودودي وفي مصر ظهر من يمثل فكر جماعة الإخوان المسلمين وفي الشام ظهر وفي المغرب أو الجزائر ظهر من يمثل الفكر الذي يراد أو لالذي تبنى نقل الناس إلى الإسلام بفكر كفكر مالك بن نبي ونحو ذلك المِقصود من هذا أنها تنوعت المدارس حتَّى تنوعت الجماعات وتنوعت الفكار بسبب تنوع تلكِ المدارس

إذًا فلنشأة الفكر أسباب وهذه بعض أسبابه و لا شك أن المتأمل لذلك ينظر إلى أن نشأة الفكر إذًا لم تكن نشأة على علم وإنما كانت بحسب الحال دفاع عن التاريخ دفاع عن العقيدة دفاع عن الإسلام لكن بطريقة غير مقننة غير منظمة غير موصلة غير منضبطة بالتالي ظهر كثير من الكتابات التي تراها اليوم ممن يسمون بمفكرين إسلاميين وفي الحقيقة إنما هم مفكرون ليسوا بإسلاميين لأنهم إنما يفكرون تارة بالنظرة الإشتراكية وتارة بالنظرة الاعتزالية وتارة بنظرات مختلفة فنشأ ما يمسى بالتنوير والجتهاد والتقدم حتى أتى من المفكرين من يزعم أنه لا بد من إقامة صرح جديد لطريقة العقل والتفكير والتعامل مع النصوص لأن تلك إنما تناسب زمنًا مضى وهذا الزمن لا بد لم من شيئ جديد إنه ولا شك انحراف خطير عن أصل هذا الدين وعن العلم والصحيح الذي نزل به جبريل عليه السلام من عند رب العالمين في كتاب الله جل وعلا وعلا وغي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم هذا الموضوع الذي هو الفكر والعلم مهم وسبب الاختيار له أن كثيرين من طلبة العلم أو من الناس من المثقفين من الشباب لا يعون حقيقة المصطلح واليعون أبعاده ولا يعو ما ينبغي أن يؤخذ به وما ينبغي بل يجب أن يحذر منه من الفكر فكان لا بدً من طرق هذا الموضوع حتَّى تتضح حقيقة الفكر ومن أسباب طرح هذا الموضوع كثرة الذين يكتبون عن الإسلام فكريًا وانتشار كتاباتهم فترى في الصحف كثيرًا ما يكتب أناس هؤلاء يقال عنهم أسباب طرح هذا الموضوع كثرة الذين يكتبون عن الإسلام فكريًا وانتشار كتاباتهم فترى في الصحف كثيرًا ما يكتب أناس هؤلاء يقال عنهم أسباب طرح هذا الموضوع كثرة الذين يكتبون عن الإسلام فكريًا وانتشار كتاباتهم فترى في الصحف كثيرًا ما يكتب أناس هؤلاء يقال عنهم

مفكرون إسلاميون وهناك كتابات قديمة من أناس ليسوا بحاضرين من أمثال مالك بن نبي، المودودي، سيد قطب، محمد قطب إلخ لهم كتابات وهذه الكتابات تتسم بأنها كتابات فكرية فما حجم هذه الكتابات كيف توزن؟ هل ترد؟ هل تقبل؟ هل يعتمد عليها أم لا يعتمد عليها ما حدودها؟ هؤلاء المفكرون الذين ذكرت اسماؤهم ومن لم نذكر اسماؤهم ما موقعهم الصحيح في الأمة وما الذي ينبغي أن يوضعوا فيه في أي إطار لا شك أنَّ هذه الأسئلة الجواب عنها مهم ولعله أن يكون في هذه الكلمة أو هذه المحاضرة بعض إجابات عن ذلك ومن الأسباب أيضًا أن ظائفة من المثقفين علت درجاتهم في الثقافة أو توسطت خلطوا بين الفكرٍ والعلم حتى صارٍ الفكر دليلاً حتَّى صار ما يكتبه المفكرون أعظم في القناعة وأعظِم في الإتباع مما يكتبه ِالعلماء بل زاد الأمر على ذلك حتّى ستْمِّي العلماء بأنهم متأخرون وأن المفكرين هم المتقدمون وهذا لاشك يتطلب بحثًا لهذا الموضوع وتعريفًا للناس بالفكر ماهو؟ وهل يقبل أم لا يقبل؟ إلى آخر ذلك والسبب الرابع لطرح هذا الموضوع أن كثيرًا من قيادات الدعوة وقيادات الجماعات الإسلامية في هذا العصر وهي الجماعات التي سواءًا كانت منظمة أو غير منظمة هي التي يراد منها أن تصلح أوضاع المصحلين وأن تعيد الناس إلى جادة الصواب كثير بل الأكثر من تلك القيادات إنما هي قيادات فكرية وينتج عن تلك القيادات أراء وأنواع من التعامل وينتج عن قياداتهم الفكرية توجيه للشباب في أن يتخذوا الموقف الفلاني وأن لا يتخذوا الموقف الفلاني ودلائل ذلك إنما هو فكر دون علم ومن المسلم به بل من المجمع عليه أن الدليل إنما هو العلم أما الفكر فليس بدليل وإنما هو تلمسٌ كما سيأتي السبب الخامس لطرح هذا الموضوع أن هذا العصر تنوعت فيه أفهام الناس، وتنوعت فيه طرائقهم في التفكير فنتج من ذلك أن خطاب الناس بالفكر مهم وكرح بعض المسائل طرحًا فكريًا في الصُحُف أو في بعض الكتيبات مهم لأن الناس لا يعون لغة العلم ولا يتحمسون للعمل فإذا طرح لهم بأسلوب فكري ثقافي فإن كثيرين من المسلمين يقبلون على ذلك وير عونه ويهتمون به وتصلهم أفكار وِتصلهم أصول بالفكر ربما لا تصلهم بالعلم لعدم محبتهم للعلم أو لعدم إقبالهم عليه وهذا يتطلب أن توضع ضوابط للمفكر وضوابط للفكر حتَّى يكون إرشادنه للأمة وحتّى تكون الكتابات الفكرية منضبطلة غير مخالفة لمقتضى العلم ومقتفى الكتاب والسنة وقواعد الإسلام.

نبدأ أولاً بإيضاح معنى الفكر الإسلامي ما المراد به ذكرنا أنه مصطلح جديد وإذا كان مصطلحًا جديدًا فلا بد له أذن من تعريف عرَّفه بعضهم بقوله: ((إن الفكر الإسلامي هو عمل المسلمين العقلي ونتاجهم الفكري في سبيل خدمة الإسلام بيانًا ودفاعًا)) وهذا المعرّف لهذا التعريف جعل البيان من الفكر وجعل الدفاع من الفكر ويعني بالبيان العلم فجعل العلم من الفكر لأن بيان الإسلام هو العلم والدفاع عن الإسلام هذا بعض مهمات الفكر وفسَّر قوله بيانًا بأنه المراد به بيان الإسلام بيان الأصول بيان التفسير بيان الحديث إلى آخره فجعل العلم من الفكر فهل يصح أن يجعل العلم من الفكر أخر عرَّف الفكر بأنه جمع الشواهد والأدلة ثم تحليلها لخدمة الإسلام يعني إذا أراد أن يبحث قضية من القضايا فيجمع لها الشواهد والأدلة ونعني بالشواهد والأدلة ما يشهد للغاية فالغاية عنده معلومة فيريد أن يجمع لها من الشواهد والأدلة ما يصحح هذه الغاية حتّى يدافع عن الإسلام أو يبين محاسن الإسلام أو ينصر الإسلام في قضية من قضاياه وهذا يعني أيضًا أنه أدخل العلم في الفكر جمع الشواهد والأدلة ماحده؟ ماهي هذه الأدلة؟ وما هي هذه الشواهد التي توصل إلى تلك النتيجة؟! إذًا دلنا ذلك على أن تعريف الفكر بما ذكر ليس منضبطًا ولا ثابتًا بل قد يدخل فيه أشياء وقد يخرج منه أشياء ماحدد ذلك مهمةً المفكر ولا ما يتعرض له ولا مالا يتعرض له كيف يصل بفكره إلى النتائج؟ هل النتيجة هي الأولى أم النتيجة مراده؟ في الوافع أن ذلك لم يضبط ولهذا تجد أن المفكرين كل يورد ماعنده بحسب طريقته فيختلفون في البداية ويختلفون في النهاية ويختلفون أيضًا في وسائل ذلك كل بحسب مدرسته هل يصح أن يقال على هذا إن العلم من الفكر لا شك أن العلم لا يجوز أن يقال إنه فكر إسلامي وقد سُئل الشيخ العلامة محمد بن عثيمين عن هذه الكلمة كلمة (فكر اسلامي) هل يجوز أن تقال فقال الشيخ حفظه الله كلمة فكر إسلامي من الألفاظ التي يحذر عنها إذ مقتضاها أننا جعلنا الإسلام عبارة عن أفكار قابلة للأخذ والرد لن الفكر رأي فإذا قلنا فكر إسلامي معناه أن الإسلام صار مجموعة أفكار قابلة للأخذ وقالرد قابلة للنقاش قال الشيخ ((وهذا خطر عظيم أدخله علينا أعداء الإسلام من حيث لا نشعر)) -وقال الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله عند هذه الكلمة في كتابه ((معجم المناهي اللفظية)) ((وكيف يصح أن يكون الإسلام ومصدره الوحي ((فكرًا))، والفكر هو ما يغرزه العقل، فلا يجوز بحال أن يكون الإسلام مظهرًا للفكر الإنساني؟ والإسلام الوحي معصوم والفكر ليس معصومًا، وإذا كان بعض الكاتبين- يعني به الأستاذ سيد قطب أدرك الخطأ في هذا الإصطلاح فأبدله باصطلاح آخر هو ((التصور الإسلامي)) - وهو في كتاب ((خصائص التصور الإسلامي)) و((مقامات التصور الإسلامي)) من باب رفع أفة بأخرى؛ لأن التصور مصدره الفكر المحتمل للصدق والكذب)) وهذا الذي قاله الشيخ بكر سديد لأن من رأى بحث خصائص التصور الإسلامي ((مقومات التصور الإسلامي)) وجد أنها تبحث في تحليلات للعقيدة، التوازن، الشمول فيجعل أصولًا عقدية جديدة ويجعل ذلك مزايا التصور كما قال الإسلامي يعني مَزْايا العقيدة الإسلامية وتلك إنما هي بأفكار لم يسبق إليها كتابها والتصور هو الفكر فرجع الأمر إذًا إلى الحديث عن أصول الإسلام وعن العقيدة وعن مزايا ذلك والحكم والأسرار في أصول فكرية وقوالب تصورية ثقافية ولا شك أن هذا كما قال الشيخ ((رفع آفة بأخرى)) يعني محاولة علاج أفة بإحلال أفةٍ أخرى جديدة والكل راجع إلى أنه فكر، فكر إسلامي كما يعبرون وهو في الحقيقة فكر غير منضبط وليس عندنا ما يسمى فكرًا إسلاميًا يعني ليس عند العلماء ما يجوز أن يقال له فكر إسلامي هل يجوز أن يقال مفكر إسلامي؟ قال الشيخ ابن عثيمني مفكر إسلامي يعني من يفكر ويكون مصدره في التفكير الإسلام وهذا إذا انضبط بالعلم صخ لن من فكر بطريقة علمية صحيحة فهو مفكر غسلامي فيصح أن يقال عن منم انضبط بالعلم في التفكير إنه مفكر إسلامي يعني مسلم ذو فكر وهذا الاستعمال صحيح بعضهم اعترض وقال إنَّ هذا الكلام غير منضبط لأن القرآن والسنة فيها الحث على التفكر والحث على النظر وقد جاءت آيات كثيرة في ذلك بعضهم اعترض وقال إنَّ هذا الكلام غير منضبط لأن القرآن والسنة فيها الحث على التفكر والحث على النظر وقد جاءت آيات كثيرة في ذلك منها قوله جلّ وعلا وعلا {إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل وِالنهار لأيات لأولى الألباب} {الذي يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك}ٍ فمدح الله خاصة المؤمنين بأنهم يتفكرون وكذلكِ قال جلّ وعلا وعُلا {أولم يتفكرُوا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلاَّ بالحقّ وأجل مسمى} وقال جلّ وعلا {قل إنما أعظم بواحدةٍ أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا} وجاء في الحديث أو في الأثر ((اللهم اجعل كلامي ذكرًا وصمتي فكرًا)) ولا شك أن التفكر أمر مطلوبٌ ومستحب أو واجب في بعض الأحيان لأن التفكر ينتج نتيجة عظيمة وهي تعظيم الله جلُّ جلاله وتعظيم ما أنزل على رسوله واتباع الرسل والخوف من الأخرة والرغب في الجنة والحذر من النار منها هذا التفكر الذي جاء في الأيات وفي بعض الأحاديث ((تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا)) هل هذا التفكر هو المقصود بالفكر ننظر إلى ما قاله العلماء في كلمة التفكر لأن من استدل على صحة الفكر بالتفكر نقول هذا استدلال غير صحيح لأنّ الفكر أو التفكر الذي جاء في هذه الأيات ليس هو الفكر في الشرع وإنما هو تفكر في ءلاء الله ففرق بين الفكر في الشرع التفكر في ءالاء الله، التفكر في ءالاء الله في مخلوقات الله هذا هو المقصود بما أمر الله جلَّ وعلا به في تلك الأيات.

رسمبين في الشرع التفكر في أحكامه فإنَّ هذا هو الذي ينتج الفكر وهذا الفكر قد يكون صحيحًا وقد يكون سقيمًا فإن الفكر إذًا الذي يقصد به التفكر في الشرع، والنظر في أدلته والنظر في التاريخ التفكر في ملكوت الله ولا يقصد به النظر في المناريخ التفكر في النظر في أدلته والنظر في التاريخ للوصول إلى نتائج معينة وهذا غير الفكر، ولهذا قال بعض الأدباء وكلامه كلام حسن قال الفكر مقلوب فرك فرك الشيء يفركه فركًا لكن يستعمل الفكر في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلبًا للوصول إلى حقيقتها وهذا في الحقيقة تعبير صحيح وتعبير جيد.

يخرج بالتفكر والفكر عن المدلول العصري الاصطلاحي في قولُهم فكر الإسلامي إذا إذا كان التفكر إنما هو في الملكونت التفكر في آلاء الله التفكر في الأنفس للوصول إلى نتيجة تُقوي الإيمان وتعظم في العبد تعظيمه لله جلّ وعلا وخوفه منه ورجاء ثوابه والخوف من عقابه والقرب من جنته والحذر والبعد من عذابه وناره فإن هذا يخالف ما يسمى بالفكر والفكر في الحقيقة في الإصطلاح الجديد هذا إنما هو الرأي لأننا

عندنا في الشرع أدلة دلت على النهي عن الرأي، فما هذا الرأي الذي حذرت منه الأدلة هو في الحقيقة هو الفكر لأنَّ الرأي مصدره العقل يرى رأيًا ومعلوم أن الرأي يكون بعد ترو فيرى بعد التروي وهذا في الحقيقة هو الفكر لأنه أي بعد التروي أو صدر فكرًا أو قال فكرًا بعد أن فكر فالرأي والفكر متقاربان ولهذا جاء في النصوص النهي عن الرأي وجاء في كلام الصحابة والتابعين كما سيأتي الفكر إذن رأي وهذا أمر واضح لأنه ناتجٌ عن تصرف العقل وتفكير العقل وهكذا الرأي ناتج عن تصرف العقل وتفكير العِقل، الرأي في تاريخ الإسلام انتج لنا أشياء كثيرة انتج لنا الرأي أراء جديدة في العقيدة انتج لنا الرأي أراء جديدة في أصول الفقه انتج لنا الرأي أراء جديدة في الحديث ومًا يقبل منه وما يرد والأحاد وغير الأحاد والمتواتر وغير المتواتر والقطعي والظني إلى آخر ذلك انتج لنا ألااء جديدة في المصالح والمفاسد حتّى قال بعضهم حيث وجدت المصلحة فثم شرع الله وقلب الحقيقة برأيه والحقيقة أنه حيث وجد الشرع فثم المصلحة لأن المصلحة مفرزة من الشرع وليس الشرع مفرزًا من المصلحة، فالشرع هو الأساس وعن الشرع تنتج المصالح وتدرأ المفاسد. بالرأي ظهرت أراء سياسية متنوعة غير السياسة الشرعية سياسات يتبع فيها أصحابها ما يرون كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ظهرت السياسات المَلِكِيَّة والسياسات الأماراتية وظهرت السياسات العقلية وظهرت السياسات الفلسفية... إلى أخره فكل يسوس برأيه، فجطوا أن هذه المفرزات جميعًا صحيحة وإسلامية ومرجعها إلى الشرع أصحابها في الواقع أهل رأي تمسكوا بقواعد تمسكوا بأشياء من المتشابه ونتجوا عنها بتصرفاتهم وأفكارهم وهذا في الحقيقة هو الذي انتج لنا الرأي وهو الذي انتج بعد ذلك الفكر إذ أنَّ الفكر فيما ترون في الوقت الحاضر انتج لنا فكرًا عقائديًا تُكلُّم في العقائدد من منطلق فكري فمن منظلق نظر فقيمت بعض الإتجاهات العقدية تقبيمًا فكريًا فبعضهم قال إن المعتزلة هم القوم وأن أهل الحديث ليسوا بشيئ ليم؟ بموازنات فكرية فرجحوا عقيدة على عقيدة بمعطيات فكرية فأين الدلائل؟ أين النصوص؟ أين ما يدل على ذلك إنما هو الرأي المجرد وكذلك رُجَّحَت أنواع من الساسة في الدول وسوَّغ بعض الناس من المفكرين لبعض الدول أنواعًا من التعامل وأنواعًا من التصرفات بالفكر والرأي وهذا لا شك أنه خطر عظيم وانحراف جسيم جاء في الأمة نتيجة لمفكرين نتيجة لأقوال فكرية وتضخم ذلك وتضخم حتّى غدت الأقوال والفرق والإختلافات كثيرة لهذا يجب علينا أن نصبغ لدلائل الشرع العظيمة التي تنهى عن الرأي مقالاتٍ الإسلامِيين إن الرأي في دين الله مذموم إلاً إذا كان عن مسائل الإجتهاد في مسائل الإجتهاد ممن كانت عنده آلات الاستنباط والاجتهاد يعني أن من رأي رأيًا أو قاس قياسًا أو ظهر بأفكار وهذا عنده لأجل تمكنه من ألات الاستنبطا والاجتهاد فهذا مقبول منه أما أن يرى والرأي ويصدر الفكر والأحكام من ليس عنده شيئ إلأ أنه قرأ وتثقف ِوقال عندي ملكة للمطالعة وعندي ملكة الاطلاع فهذا لا شك أنه لا يقبل بل هو ما جاء في النصوص النهي عنه ومن تلك النصوص أنَّ عبد الله بن عمرو بن العاص قال في الحديث الذّي رواه البخاري ومسلم وغير هما أن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى إذا لِم يُبْقِ عالمًا إتخذ الناس رؤوسًا جُهَّالاً فأفتوا بغير علم)) وفي رواية مسلم: ((فأفتوا برأيهم فضلوا وأضلوا)) أفترا برأيهم يعني حكموا على الأمور وعلى الأحوال وعلي ما عندهم مما يحتاج إلى حكم بالرأي يعني بالفكر والرِأي والفكر هما شيءٌ واحد فضلوا وأضلوا ومن ذلك حديث ابن عباس الذي رواه أبو داود والنسائي وحسنه الحافظ ابن حجر أنّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (( من قال في القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار)) فظهر من المفكرين من يتكلم في القرآن برأيه ويجعل بعض المعطيات الفكرية أو النتائج هي من دلالات القرآن حتى جعل من دلالات القرآن والعياذ بالله أمر مجمع كل بطلانه ولم يقل به أحد من أهل العلم، بل جعل من دلالات القرآن ما يدل على عقائد فاسدة أو ما يدل على آراء الأدلة والقواعد تقضي عليها من أسِّها والأنلة في ذلاك في السنة كثير رة ومما جاء علن الصحابة في ذلك قول عمر و هو قول عظيم قال رضي الله عنه: ((إنّ أضحاب الرأي أعداء السنن أعتيتهم الأحاديث أنْ يحفظوها والسنن أنْ يتفهموها فعارضوا السنن برأيهم فإياك وإياهم)) وفي طريق أخرى قال رضىي الله عنه: ((فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا)) وهذا الذي قاله عمر منطبق تماما على بعض أنواع الفكر يعني الفكر الذي لا دليل عليه أو الفكر الذي يصدم أصولا فيكون استدلال أصحابه بالمشتبهات لا بالأصول العلمية فتنتج عن ذلك أنهم قالوا بالفكر قالوا بالرأي فضلوا فعلا وأضلوا وهذا ظاهري مدارس كثيرة تراها اليوم في كثير من بلاد المسلمين، فإذا نظت مثلا إلى فكر بعض الكُتَاب الذين تكلموا في أشياء من طريق الرأي وجدت أنه تفرع ونشأ عنهم مدرسة مثل مثلا مالك بن نبي في الجزائر نتجت عنه مدرسة مالك بن نبي نتائج فكره قامت عليها دعوة بعد ذلك تأثر به راشد الغنوشي المعروف زعيم الحركة الإسلامية في تونس -كما يقال- وهذا حال حركة لا تعي السنن ولا تعي العلم وإنما هي معطيات فكرية حتى إنه قال في يوم من الأيام حينما سئل عن مطالبكم في تونس قال: مطالبنا أنْ يحكّم الشعب، قالوا: فإذا اختار الشعب الديمقر اطية، قال: ليس عندنا مانع، فإذا اختار الشعب الديمقراطية فإننا نختار ذلك لكن لا يجبر الشعب على اختيار لا يريده

هذا فهم للإسلام وإن كان ذلك عليه من قبله وهو أيضا عنده شبه في ذلك لكنه عطاء فكري مارد ليس له من الإسلام نصيب وتبني هذا دعوة تبنته دعوة تبنت هذه الدعوة مواقف وتحليلات سواء في داخل بلادها أو في خارجها كل ذلك نتاج مفكر أو نتاج فكر سابق كذلك في مصر ترى أنّ كثيرا من المواقف والمقررات مثل في انتشار الجماعات المختلفة بعد دعوة الإخوان المسلمين والجيوب التي حصلت في الجماعة واختلاف الأراء فيها كانت نتاج كلام فكري قاله بعض المفكرين وتبنى هذا الكلام أناس فنشات جماعات ثم تبنى أفكار أخرى جماعات أخر فكثرت الجماعات حتى إنه يقال إنّ اليوم بمصر نحو مائة جماعة أو اسم أو قربيب من ذلك ربما للمبالغ والتكثير وهذا نتاج الفكر ويأتينا أنّ الفكر مفرق، الفكر لا يجمع، الفكر يفرق الناس لأنه إذا كان عندي أفكار فلابد أنْ يكون ثمّ من يقتنع بهذه الأفكار فيكون هناك تفرق في المة هؤلاء يقتنعون بهذا الفكر والفكر ليس مصدرا عقليا وليست نتاجا عقليا والغاية عقلية بل يتبعه عمل ولهذا في كتابات مثلا سيد قطب المتأخرة بل وفي كتباه ((في ظلال القرآن)) نتجت هناك جماعات تتبنى أفكاره التي قاله في نحو كتاب ((معالم في الطريق)) أو في نحو كتاب ((خصائص التصور الإسلامي)) ونحو ذلك مما فيه انحراف عن قواعد الإسلام وعن أصول هذا الدين، نشأت جماعات الخ تبنت هذه الجماعات مواقف الخ وكل له تبريراته وكل له فكره لكن العلم ليس متصلا بذلك، بل العلم من ذلك براء.

ننتقل إلى نقطة أخرى، الفكر ما مصدره؟ يعني إذا نظرت في كتابات المفكر ماذا يعتمد عليه حتى يكتب؟ ما دلائله؟ ما مصادر الفكر عنده؟ متنوعة ومتعددة، لكن يمكن أنْ نذكر منها أولا: الثقافة العلمة المجموعة مما علق بذهن ذلك المفكر أو مرّ عليه من أدلة الشرع وكلام يعفى السايقين، وثقافته التاريخية والواقع السياسي ونفسية الكاتب إلخ يعني أشياء مجموعة ثقافية واقع تاريخي، قصة تتاريخية هذا مصدر من مصادر الفكر فإذا نظرت في كتابات المفكر أي مفكر تشاء لا تجد أنه يستدل بأمر خارج عن الكلام الإسلامي ولذلك قيل عنه إنه مفكر إسلامي، لكن هذا الكلام الذي يستدل به ويجعله من مصادره هل هو مستقيم في نفسه يعني صحيح في نفسه غير معارض أم أنه أدلة لكنها تتخل في المتشابه كثيرا من الأحيان في الواقع أنك تجد أدلة بعضهم يكتب ويبدأ كلامه التفكير الإسلامي كما يقولون بقاعدة من القواعد هذه القاعدة صحيحة ويفرع عنها ويبدأ ويتخذ الوسائل ويصل إلى الغاية والأحكام والعلاج إلخ منطلق من ذلك و:كأنه ليس في تقييم ذلك الوضع أو في علاج هذه النقطة أو في علاج تلك المشكلة إلا هذه القاعدة يذكر مسألة أصولية يتعامل في المسألة بنص واحد أو يذكر ثقافة أو يكون عنده علم عاطفة من العواطف فينكلم من منطلق هذه العاطفة يرى مثلا ما حلّ بالمسلمين من نكبات وما يمارسه عدو الإسلام من ضغط على الإسلام وهذا الإفراز يسمى إفراز فكري عهدا الإفراز يسمى إفراز فكري وهذا الإفراز يسمى إفراز فكري فيدا الإفراز يصبغه بالصبغة الإسلامية فيستدل بآية ويستدل بحديث ينقل كلام يذكر واقعة تاريخية وهذا يعد أكبر المصادر عند المفكرين فيرى كثيرا من الناس وينظرون إلى هذا المقال أو ذلك الكتاب فيجد أن فيه استدلالاً بآية وفيه استدلال بحديث وفيه استدلال بقاعدة فيه ذكر فيرى فيتنع كثير من الناس بذلك وهذا من المصادر المهمة عندهم وهي التي يجب أن يكون طالب العلم منها على حذر لأنه كما سيأتي هناك لخبر تاريخي، القصة تاريخية وهذا من المصادر المهمة عندهم وهي التي يجب أن يكون طالب العلم منها على حذر لأنه كما سيأتي هناك

فرق بين المحكم والمتشابه فأما الأدلة من حيث هي والاستدلال فهذا يمكن أنْ تستدل على المسائل المخالفة للدين ببعض ما جاء في القر آن مثلا استدل النصارى على نصوص بعثة النبي صلّى الله عليه وسلّم للعرب بقوله جلّ و علا: {و أنذر عشيرتك الأقربين} وفر عوا على ذلك منهم من أباح الخمر واستدل على ذلك بالقرآن قال جلّ و علا: {ليس على الذين ءامنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا و ءامنوا و عملوا الصالحات و وهذا أمر ولم يحرم لأنه قال: {لعلكم تفلحون} في إفرازات كثيرة كما ذكر ذلك الشاطبي في ((الموافقات)) حيث قال: ((ليس ثمّ صاحب رأي إلا ويجد في الشرع من المتشابه ما يدل على رأيه)) وهذه عمدة أهل الفكر في الوقت الحاضر يجدون من المتشابه من كلام الله جلّ و علا وكلام رسوله صلّى الله وسلّم وربما بعض كلام أهل العلم أو الوقائع التاريخية إلى آخر ذلك ما يستدلون به فيجعلون أحكاما وأحوالا بل ربما أنواع من التعامل ولانتائج مبنية على تلك المصادر التي هي مجموع الثقافة العامة لدى المفكر.

الثاني من المصادر عند المفكرين الإسلاميين: نظرة الكاتب إلى الواقع وكيفية علاج ذلك الواقع وهذا يتنوع بحسب نشأة ذلك الكاتب ومدرسته فمثلا ترى أنّ أبا الأعلى المودودي في الباكستان طرحُهُ الفكري يختلف تماما عن طرح مالك بن نبي في الغرب لمَ؟ لأنّ ذاك نشأ نشأة معينة والأخر نشا نشأة أخرى فذاك متأثر بكلام المستشرقين وبالدراسات الاستشراقية وبفرنسا إلخ، فنظر بمنظور آخر وأبو الأعلى المودودي ناتج من رأيه في كيفية الإصلاح الواقع وكيف ننهض بالمسلمين... مصدر من مصادر الأفكار المدرسة إذا نظرت في جانب أخر في جانب المنحرفين جدا بعضهم عاش في الاشتراكية زمنا طويلا مثلا مثلا الدكتور محمد عمارة وعاش في ذلك وعاش فلما رجع وكتب كتابات إسلامية ويسمى اليوم خسأل الله العافية والسلامة مفكرا إسلاميًا وله أراء وأراء وبعض الناس يتبناها وتكتب حتى في صحفنا تجد أنه ينبثق من ذلك الماضي الذي عاشه فله أفكار متعلقة في ذلك فإذا كتب عن التنوير أو التقدم أو التطور وكيفية صياغة العقلية فإنما يرجع إلى معاناة سابقة وينتج ما عنده من الأفكار بحسب ما عنده، دون الرجوع إلى الأصل الأصيل لأنه لم يدرس ذلك أو لأنّ حياته تقلبت في أدوار مختلفة إذا نظرت إلى الذين اعتنوا بالاستشراق وذهبوا ودرسوا في الغرب وواجهوا المستشرقين في مؤتمرات إلخ وتكلموا عن الإسلام بنظرة فكرية لكن بإحساس هجوم الغرب على الإسلام مثل الشيخ محمد الغزالي في كتاباته، ضعف نفسي أمام أطروحات المستشرقين وعيبهم في الإسلام وهذا الضعف النفسي أراد أنْ يبرر أنّ الإسلام صحيح وأن ما عندنا هو الصحيح حتى لو أخّذ قولا شاذا من أقوال العلماء أو استدل بُواقعة أوّ هدم إجدماعا من الإَجماعات المقصود أنْ يظهر الإسلام قويا أمام الاستشراق هذا وضع نفسي خاص يُنتج أنواعا من التفكيرات وأنواعا من الاطروحات التي يقدمها المفكرون كذلك في الفن كذلك في المباحث اللغوية والادب إلخ هناك انماط من التفكير ومصادر الفكر تكون واقع ذلك الشخص وحياته التي عاشها والشيء الذي اهتم به، إذن فيكون الفكر أبتر لأنّ ذلك المفكر ينظر من واقعه ينظر فيما عاناه فيريد أنْ يخرج بنتائج هي في الواقع لا تحل شيئا وإنما هي تقنع وتحل المشكلة التي عنده، لكن لا تحل مشكلة المسلمين إلاً إذا تصور أولئك أنّ كل مسلم عنده نفس المشكلة التي عند ذلك الكاتب و هذا لا شك أنه لا يقوله أحد.

من المصادر ايضًا تتابع المدارس، الكتّاب الذين قرأ لهم المفكر فتجد أنّ من الناس اليوم من يكتب كتابات فكرية متأثرا مثلا بمدرسة سيد قطب الفكرية أومنهم يكتب كتابات فكرية متأثرا بمدرسة مالك بن نبي، متأثرا بمدرسة محمد قطب متأثرا بمدرسة محمد البهي، أنور الجندي إليخ الذي يكتبون في تلك المجالات تتنوع المدارس وتبدأ يكون من المصادر الأفكار القديمة ولا شك أن هذا يُحدِث انحرافا بعد انحراف لأنّ فكر الثاني يكون توسعة لفكر الأول فإذا كان الدراسات القديمة من المصادر الأفكار القديمة ولا شك أن هذا يُحدِث انحرافا بعد انحراف لأنّ فكر الثاني يكون توسعة لفكر الأول فإذا كان فكر الأول غير منضبط بضابط الشرع فإنه يكون هناك خلل في النتائج وانحراف عن اصل الإسلام نصل إلى سؤال مهم وهو هل الفكر كله مذموم؟ متى تذم الكتابات الفكرية؟ ومتى لا تنم؟ ومتى لا تقبل؟ نرى كما ذكرت في المقدمة أنّ الفكر والكتابات الفكرية في هذا الزمان مهمة ولا شك ولها فوائد لكن متى ما انضبطت بضوابط الشرع متى ما قام أصحابها عليها بنظر صحيح متأمل رعوا فيه حق العلم وصاغوا ذلك بقوالب فكرية ونقاشات يقتنع بها لاناس نعم لغة العلم عزيزة لغة العلم لا يفهما كل أحد اعتاد الناس في هذا الزمن على المقالات في الجرائد ولامجلات اعتادوا على الكتب الصغيرة كتب الجبب التي يأخذ منها فكرة مدللة بقناعات سطحية متنوعة بأسلوب جذاب فيحدث في الجرائد ولامجلات اعتادوا على الكتب الصغيرة كتب الجبب التي يأخذ منها فكرة مدللة بقناعات سطحية متنوعة بأسلوب جذاب فيحدث قناعات كثيرة عند الناس هل نلغي الفكر؟ نلغي الكتابات الفكرية؟ الجواب ليس الأمر كذلك لابد أنْ يكون هناك من يقوم بهذه الكتابات الفكرية لكن على الضابط الشرعي الذي سنذكره أو نعرض له فيما يأتي إنْ شاء الله تعالى.

من فوائد الكتابات الفكرية في هذا الزمن.

أولا: أنْ يخاطب الناس باللغة التي يفهمونها لو نظر احدكم إلى طالب علم يدخل إلى البيت ويكلم بعض المثقفين مثلا عنده أخ دارس دراسة مثلا مدنية أو عنده أخ يسافر كثيرا أو تاجر أو قريب له... الخ فإنه قد لا يستجيب للغة العلم قد لا يفهم مدلولات لغة العلم فهؤلاء لابد أنْ يوضح لهم الإسلام وأصول الإسلام وقواعد الإسلام وما عليه أهل الإسلام وعقيدة أهل السنة...

من الناس مثلا من يكون عنده الاستشهاد بواقعة تاريخية أعظم في التأثر من أنْ تستشهد له بحديث إذا أظهرت له تناقضا بين موقفين تناقضًا في حالتين يكون عنده أكثر إقناع مما لو أتيته بكلام عالم من أهل العلم، العقول مختلفة فإذًا لابد أنْ تخاطب الناس بما يفهمون وبما يعقلون وما يعقلون ومخاطبة الناس بما يفهمون وتحديث الناس بما يعقلون هذا لا شك انه من المطالب التي يدخل فيها التحدث مع الناس بالفكر لكن أي فكر هو الفكر الذي كان العلم عليه حَكمًا ولم يكن حاكمًا على العلم، الفكر الذي صدقه أهل العلم وصدقه النص والقواعد الشرعية.

ثانياً: أنناً نحتاج في هذا الزمن لا شُك إلى الرد على الأعداء، الرد على أهل الخصومات في الإسلام وللإسلام الشبّه كثرت والآراء كثرت فلابد من أطروحات مقابلة وهذه الأطروحات إنْ كانت بصيغة علمية لا تناسب كل الطوائف وكل الفئات فإنْ كانت فكرية قُبلت ولهذا نرى أنه من الحاجة أنْ يكون ثمَّ كتابات فكرية لكن كتابات فكرية صحيحة وهذه الكتابات بشرطها الذي سياتي وأعظمه أنْ يكون العلم حكما عليها وليست منفصلة ولا بعيدة عن العلم هذا في جانب الفوائد.

في جانب المضار، هل الكتابات الفكرية الَّتي قرأنا منها ورأينا منها القديمة والحديثة هل هذه سلمت من المضار؟

الجواب بل إنها حوت مضارا عظيمة وأخطارا متنوعة فمن ذلك وهو أعظمه أنها أحدثت أجيالاً تفكر دون اعتماد على العلم والمة لا تعرف إلاً أنْ يكون العلم هو الأصل، فالأمة مرتبطة بالعلماء منذ عهد الصحابة بل حتى في حياة النبي عليه الصلاة والسلام قال الله جلّ وعلا: {وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم} قال المفسرون أولوا الأمر هنا هنم الذي يستنبطون وهم أهل العلم فالأمة مرتبطة بعلمائها أجيال الناس مرتبطة بأهل العلم، يأتي في هذا الزمان إحداث لمصطلح فكر إسلامي ويقوم عليه أناس يسمون مفكرين إسلاميين هذا أحدث أجيالاً من الناس قناعتهم فكرية لا يعون العلم ولا يرضخون للعلن ولا يحكمهم العلم إنما يحكمهم العكر إذا فكروا فإنما هو بمعطيات فكرية، وإذا تناقض أحدٌ معهم فإنما يقتنعون بالفكر دون غيره فإذا تكلم مفكر بالفاظ جذابة بألفاظ فضفاضة بثياب واسعة فإنه يقتنع وإذا أتاهم بمصطلحات جديدة اقتنعوا فأتت المصطلحات الجديدة، الخروج من الذل الرجوع إلى الإسرلام إنما هو بالتنوير إنما هو بالتنوير إنما هو بالتقدم في النفرة إلى الإسرلام إنما هو بالنظرة الفاسفية العامة بتقديم العقل بالعقلانية... إلخ ذلك وهذه كلها إفر از ات لكتابات المفكرين لأنه بالقرن الأخير يعني في القرن الثالث عشر ما كان يعرف أنّ ثمت مشكلة لا يرجع فيها إلى أهل العلم إنما كان الرجوع إلى أهل العلم، فيدأت هذه المعطيات واحدة تلو الأخرى حتى نشات أجيال تفكر بتفكيرات فكرية حتى قيل عن نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام قيل عنه إنه ((عبقري)) فكتب كاتب ((عبقرية محمد)) وهل النبي عليه الصلاة والسلام قيل عنه إنه ((عبقري)) فكتب كاتب ((عبقرية محمد)) وهل النبي عليه الصلاة والسلام في عنه إنه (وجي يوحى كما قال جلّ وعلا: {إنْ هو إلاً وحي يوحى} فظهر استقلال في الفكر وأجيال تتعامل مع

الألفاظ مع النصوص بمجرد رأيها لا ترجع إلى شيء فحدث هناك مصطلحات مخالفة تُعدِّي على الرسل تُعدِّي على الأنبياء، تُكلِّم بكلم إنما هو نتاج الفكر حتى تكلم في الصحابة فحللت تصرفات بعض الصحابة، حللت الخلافة حتى قال بعضهم إنّ الخلافة الإسلامية لم تعرف الإجتماع إلا في عهد أبي بكر وعمر ومنذ عهد عثمان إلى يومنا هذا حدث الخلاف في الأمة والتفرق والدماء والتطاحن فإلى شيء يُدعى في النصوص فلابد أنْ يكون هناك اشياء فكرية تجمع الناس على معطيات جديدة ليس هي المعطيات السابقة لأنّ النظر في النصوص فرق المة والعياذ بالله وهذا لا شكّ انه يعني في الجانب الآخر الغالب خروج الديانة وابتغاء لغير سبيل المؤمنين.

من المضار العظيمة أيضا أنّ الأمة تفرقت وإذا نظرت إلى هذه الأشياء التي ذكرنا وبداية نشأة الجماعات الإسلامية في القرن الماضي وكيف أنّ نتاج هذه الجماعات كان فكريا؟ وكيف بنيت جماعات وفئات على الفكر نظرت أنّ التفرق يكون بحسب زيادة الفكر فكلما ازداد المفكرون ازداد التفرق وكلما ازدادت الأطروحات الفكرية كثرت الآراء الجديدة وكثر التفرق وهذه لا شك مضرة عظيمة لأنّ الفرقة عذاب تكما قال عليه الصلاة والسلام: ((الجماعة رحمة والفرقة عذاب)) والمة إنما يجمعها العلم والفكر مفرق الثقافة تفرق إذا لم تكن منطوية تحت لواء العلم، والعلم هو الذي يجمع العلم هو الذي يقل معه التفرق والاختلاف ويسوجد الاختلاف لأنّ الاختلاف في فهم النصوص هذا موجود ولكنه يكون قليلا، أما هذا الذي تراه أفكار مختلفة كل واحد عنده طرح غريب حتى إنه غدا من آثار الفكر أنْ يقال لا فرق بين السنة والرافضة إلا فغي مسائل قليلة لابد من الالتقاء حتى إنه يمدح رؤوس الضلال وبحجج فكرية لماذا تمدح رؤوس الضلال من مثل الخميني وغيره مدحه بعض المفكرين الإسلاميين لماذا؟ قال بكلام فكري لا حاصل وراءه حاصله أنه لابد أنْ تجتمع الأمة للهجوم على المستعمر للهجوم على الدول الكافرة إلى آخره وهل هذه مصلحة شرعية أنْ تجتمع مع كل أحد حتى ولو كان هو الذي يطعن في عقيدة الأمة ويطعن في أصول أهل السنة لا شك انّه كلام فكري تبنته جماعات وتبنته فئات حتى في زماننا هذا وحتى في بلادنا هذه هناك من يقول بمثل ذلك الكلام.

في الكلمات الفكرية العامة قيل بتصحيح بعض الأوضاع كلما جد أمر وظهر حال أو ظهرت نازلة بالمسلمين أو وُجد شيء تعالم معها الكُذّاب هؤلاء من نظر فكري مجرد هذا ينظر إليها من الجهة الفلانية والآخر ينظر من الجهة الأخرى، وتحدث آراء في الأمة جديدة وتتفرق الصفوف لأجل تلك الآراء فالفكر سواء كان قريبا من العلم أو كان بعيدا هو يفرق ما لم يكن العلم حكما عليه لا شكّ أنّ هذا ضار جدًا وضرره بين لكم فيما حصل من أنواع التفرقات في الأمة، وتنوع الأقوال والمدارس من مضاره أيضا لأأنه نتج في المفكرين أنْ يصدروا أحكامًا على العقيدة الصحيحة وعلى الفقه الصحيح وعلى أصول الحديث وعلى السنة فأهل المفكر نفسه وجعل نفسه أنه مفكر إسلامي أنْ يخوض في كل مسألة حتى في الموازنة بين العقائد فيدخل فيوازن بين العقيدة الفلانية والعقيدة الفلانية بطرح فكري السنة ما يقبل منها وما يرد بعطاء فكري مخالفة بعض الأحاديث للعقل وللفكر يعرض لها وتبث بعطاء فكري إلخ تحليل الدول والوقائع التاريخية كل ذلك بعطاء فكري ولا شك أنّ هذا لا يقبل من أصحابه وسبّبً إظهار ووجود جماعات وفئات جديدة وطوائف من الناس تفكر في الحكم على كل شيء أصبحوا أعني أولئك المفكرين أصبحوا حكاما ومجتهدين فلا يتورعون عن الحكم على أي واقعة ويحللون أي شيء ويعللون ويدللون ويدللون وتجد أنّ لهم من يساعدهم ومن يأخذ بافكارهم ويتبنى أقوالهم وهذا لا شك أنشا أنواعا من المضار والانحرافات في الأمة.

**والسؤال الآن ما هو واجب المفكرين؟** خطاب لمن يكتب كتابات فكرية ويريد منها نفع الأمة سلمّت نيته وطويته وخشي لقاء الله جلّ و علا وخاف عذابه ورغب في جنته وخطاب أيضا لأولئك الذين تجرأوا على كل كتابة فكرية وكل طرح بمجرد وجود مجموعة من الأفكار والثقافة والاطلاع عند أولئك يجب أولا على الجميع في ذلك

تقوى الله جلّ وعلا وأنّ الكتابة إذا كانت فكرية فإنه لابد أنْ يستحضر صاحبها الذي كتبها أنّ هناك من سيقتنع به ومن سنّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة وفي الصحيح صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجور هم شيء ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه لا ينقص من أوزارهم شيء)) وهذا أمر عظيم أنْ ينظر الكاتب فيما يكتب والمرء مسئول عما كتب مسئول عما قال، فإذا اعد يوم القيامة وللسؤال جوابا وراى منزله أين يحب أنْ يكون فإنه إذا سيتحرى إنْ كان من مريدي الخير ومحبي ربهم جلّ وعلا.

الثاني: الواجب أنْ يخضع الجميع للعلم وأنَّ يرفعوا الفكر على العلم، العلم هو قول الله جلّ وعلا وقول رسوله صلّى الله عليه وسلّم وقول الصحابة قول أئمة الإسلام، قواعد الشرع المرعية وهذا هو الذي ينجي وهو الذي أذن الله جلّ وعلا باتباعه.

أما الفكر فإن كان تابعا للعلم فهو مقبول ومنجي وأصحابه ناجون وأن كان مخالفا للعلم فأصحابه على هلكة فلابة بل يجب على كل من يكتب كتابة فكرية أنْ يكون رجاعا إلى العلم وأنْ يكون العلم حكما عليه وهذا يكون بمراجعة أهل العلم لما يكتبه من يريد الكتابة الفكرية العامة فإنه قد يستنتج استنتاجات غير صحيحة وقد يستدل بأدلة غير محكمة أو معارضة أو فهمها على غير فهمها أو نظر فيها على غير الصحيح قد يُستدل بواقعة تاريخية والتاريخ ليس حجة وقد يستدل بفعل بعض العلماء في الزمن الماضي وفعل بعض العلماء ليس بحجة الخذلك من الذي يزن هذه الأمور من الذي يزن الصحيح من ذلك بما ليس بصحيح إنما هم أهل العلم فمن أراد كتابة فكرية يريد بها نفع الناس ومخاطبة الناس بما يفهمون ((حدثوا الناس بما يعقلون)) من أراد ذلك فعليه أنْ يجعل العلم حكمًا ويجعل أهل العلم مراجعين لكلامه ولكتاباته حتى تكون نافعة غير يجعل رقاد الشرع كل ذلك بعرضها على أهل العلم وأهل الشأن.

الثالث: أنْ لا يدخل المفكر في كل شيء أنْ لا يكون مجتهدًا يظن نفسه أنه بما عنده من المعلومات والثقافة وحسن الأسلوب يخوض في كل أمر فيعرف حده فما حدّ الفكر الذي يخوض فيه؟ ما هو الذي يجوز له من ذلك؟ لا يجوز له أنْ يكون مجتهدا حكما على العقيدة، حكما على الفقه حكما على المعقيدة، حكما على الفقه حكما على المعقيدة من حيث ثبوتها وعدم ثبوتها من حيث ما يقبل وما لا يقبل حكم في المسائل الفقهية حكم في قواعد الشرع، حكم في التاريخ، حكم على العلماء حكم على الفئات، حكم على الجماعات حكم على وجهات النظر، لأنّ المفكر إنما يعرض رأيه، والرأي إذا لم لم يكن مستندا إلى أدلة صحيحة في العلم والشرع فإنه رأي والراي كما قلنا مذموم إلا ما وافق فيه أصحابه الشرع فإذا لابد

أنْ يعلم المفكر حدوده في أي شيء يتلكم ما حدود الكلام، وإذا عرف حدوده وأنّ الفكر يخدم الأمة إذا كان في بيان محاسن دينها إذا كان في وسيلة يقظتها إذا كان في تصحيح عقولها من الخرافات، إذا كان في تثقيفها، إذا كان في أخذها بوسائل الحضارة وتفهيمها أصولا ألفاظ معطيات جديدة فيريد أنْ يعرضها للأمة بصيغة فكرية هذا لا شك أنه يخدم يحلل يكتب عن تحليلات لخبر أو لحادثة تاريخية أو لحوادث من السيرة فتكون بعد ذلك معروضة على أهل العلم، هذه الحدود لا شك أنّه يحتاجها الناس ويحتاجها طوائف من الشباب والكبار ومن المثقفين وغير المثقفين لأجل أنْ يُبان للناس حقيقة هذا الدين بما يناسب أهل العصر.

الرابع مما يجب على المفكرين أنْ يحرصوا أنْ لا يفرقوا الأمة وأنْ لا يحدثوا حدَثا فيها فكل ما حدثت معطيات فكرية جديدة وألفاظ اصطلاحية جديدة تنوير تقدم إلخ يتبعها أناس وهذا يفرق الأمة لو استعمل المستعمل ألفاظ فكرية يستعملها غير الإسلاميين من أصحاب تلك الألفاظ فإنه يوقع الناس في شك ويوقع الناس في تبعية ومراجعة لتلك الأفكار فتلك الأفكار يجب أنْ لا يوخذ بها لأنّ الأخذ الأفكار فتلك الأمة، فإنما يؤخذ بالفكر كما ذكرنا الذي يجمع الأمة وهو ما وافق العلم أما الفكر الذي يفرق الأمة فإنه مذموم إذ الواجب أنْ تجمع الأمة على ما اجتمع عليه سلفها الصالح و على ما اجتمع عليه الرعيل الأول من وحدة العقيدة ووحدة التلقي للنصوص وحدة التفكير وهذا غنما يكون بالرجوع إلى العلم وبالتربية وبالعرض العلمي.

أيضا وهو الأخير أنْ لا يغتر المفكرون بأنفسهم فربما رأى المفكر أنه ربى وفاق وارتفع عن أنْ يكون منقودًا فيظنّ في نفسه أنه مؤهل بأن تكون كلمته هي الصواب وهذا باطل لأنّ المفكر يحسب الواقع الصل في كلامهم الخطأ وقليلٌ منهم من يصيب يعني يصيب ويوافق الشرع فهؤلاء المفكرون يجب عليهم أنْ لا يغتروا وإذا رُدَّ عليهم أنْ يقبلوا إذا كان ديدن الجميع الحق، وإذا كتب إليهم أو عنهم أو انتقدوا فإن المفكر يخطئ ويصيب وخطؤه كما ذكرنا في الغالب يعني من حيث الواقع أكثر من صوابه وربما بعضهميكون صوابه أكثر من خطئه لكن في الغالب من لجأ إلى الفكر فإنّ أخطاءه كثيرة ولهذا يجب عليه أنْ لا يرتفع عن النقد وهذا النقد له درجات نقد قبل النشر ونقد بعد النشر فقبل النشر عليه أنْ يعرضه فينقد ما كتب يعرضه على أهل العلم حتى يقيموا كتابه ثم بعد النشر قد يكون فات الأول أشياء فينقد مرة أخرى حتى تكون الكتابة سليمة غير مردودة فإذًا لابد عليه أنْ يرحب بالنقد.

أخيرًا العلم وما هو العلم، لا شك أنّ العلم هو الأصل والعلم ليس بحاجة إلى أنْ يفصل عنه فصلنا عن الفكر والعلم معلوم والعلماء معلومون فالعلم كما قال ابن القيم:

قال الصحابة هم أولوا الفرقان بين الرسول وبين رأي فلان العلم قال الله قال رسوله ما العلم نصبك للخلاف سفاهةً

العلم هو فقه النصوص، العلم هو الرجوع بالمة إلى أهل الرسالة ألا وهو تلقي الكتاب والسنة والعمل بذلك وهذا العلم هو الذي تحتاجه الأمة وهو الذي يحجب أن يسير به الناس أفرادًا وجماعات عاملين للإسلام أو غير عاملين خاصة أم عامة فإن الجميع إذا رضخوا اللعلم فإن العلم هو المرجع وهو الذي يحجب أن يسير به الناس أفرادًا وجماعات عاملين للإسلام أو غير عاملين خاصة إلى ما يراد لها ومنها العلم ممدوح أهله مدحهم الله هو المرجع وهو الذي به تؤهل المة إلى أن تكون قوية على أعدائها صابية وراغبة وواصلة إلى ما يراد لها ومنها العلم ممدوح أهله مدحهم الله الذين ءامنوا جال وعلا في كتابه ومدحهم النبي صلى الله عليه وسلم في سننه وهذا الحديث عنه يطول لكن من ذلك قوله جل وعلا: {يرفع الله المؤمنين يعين من هم على مرتبة الإيمان من أهل الإسلام هم مرفوعون وأهل العلم من المؤمنين مرفوعون على غير هم درجات إيرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أتوا العلم درجات إهائي هذا القض هذه الأية وخالف هذا غير هم درجات فمن فضل مفكرا على عالم أو اتبع مفكرا على عالم رفعا لدرجات المفكر فوق درجة العالم فإن هذا ناقض هذه الأية وخالف هذا الذي جعله الله جلّ وعلا منّ منه وتكرما فضلا لأهل العلم رفعا لدرجاتهم.

لابدَ أنْ نعلم أنّ العلم منه محكم ومنه متشابه وقد قال جلّ وعلا: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا} عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم)) العلم منه محكم ومنه متشابه النصوص منها ما هو محكم ومنها ما هو متشابه فالمحكم منها الواضح البين الدلالة المتشابه هو الذي لا يفهمه إلا الراسخون في العلم يحمل المتشابه وترك المحكم أو لم يجعل المتشابه راجعًا إلى المحكم فإنه ممن سمى الله فاحذروهم ممن قال الله جلّ وعلا فيهم: {فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله} فإذن العلمالمحكم فيه بين والمتشابه منه لا يدركه إلاً أهل العلم، صنيع العلماء صنيع الراسخين في العلم التمييز بين المحكم والمتشابه يستدل بالمحكمات ويصرف المتشابهات إلى المحكمات أما صنيع المفكرين صنيع الجهلة أو صنيع القراء أو صنيع أهل الهوى فإنهم يستدلون بالمتشابهات ويتركون المحكمات، يستدل بالمتشابه من السنن يستدل بالمتشابه من الأيات فلا غرابة إذن أن استدل الخوارج على بدعهم بالقرأن والسنة لا غرابة أن استدل المعتزلة على بدعتهم وضلالهم بالكتاب والسنة لا غرابة أن استدل الجهمية والصوفية على ضلالاتهم بالكتاب والسنة لأنهم لم يستدلوا بالمحكمات وإنما استدلوا بالمتشابهات والعلم لو لم يكن فيه المتشابه لتعاطاه كل أحد ولم يفن فيه أهل العلم أعمارهم حتى يفقهوا مراد الله جلّ وعلا من كلامه والمتشابه والمحكم لناله كل واحد وهذا لا يكون فإنما العلم للراسخين في العلم الذي استوعبوا حياتهم فيه وعرفوا مدلولات النصوص، المفكرون في العص الحاضر ما صنيعهم في الواقع أنّ الكثرة الكاثرة منهم إنما يستدلون بالمتشابهات صحيح عندهم أدلة وشواهد وأقوال وحكايات ولكنها إذا نظرت إلى ما جاءوا به من القرآن والسنة فقليل منه ما هو صحيح الاستدلال ومنه وهو الأكثر ما هو من المتشابه مما يشتبه هذا منه بذاك وهذا يضل الأمة ويجعلها في انحرافات فكرية وسلوكية وعقدية وأجّيال تتبع أجيال في انحرافات وأفهام ومفاهيم إنما كان نتاجها اتباع المتشابه وترك المحكم العلم هو التفريق بين المحكم والمتشابه والعلماء هم الذين يعلمون المتشابه ويعلمون المحكم وليس كذلك المفكرون ولهذا فإنه ينبغي أنْ تعلم يقينا أنه ليس كل من استدل على شيء بكلام الله جلّ وعلا أو بكلام رسوله أنْ يكون صحيحا في نفس الأمر والبعد من ذلك أنْ يستدل المفكر على ما يريد بحدث تاريخي أو يستدل بواقع أو يستدل بتحليلات أو يستدل برأي أو يستدل بقول عالم مضى أو بفعله فإنّ هذا إيغال في البعد لأنه في أفعال أولئك وفي أقوالهم ما هو متشابه من باب أولى فإذا كان في كلام الله وكلام رسوله ما هو متشابه فمن باب اولى ان يكون في كلام بعض اهل العلم وفي افعالهم وتصر فاتهم وتقسيماتهم ما هو من المتشابه فلهذا تجد ان من المفكرين من يحيل على بعض المتقدمين ويحلل أو ينقل واقعة أو ينقل كلام بعض أهل العلم وينقل من الكتب إلخ وإنما هو كلام فكري لأنه استدلال بالمتشابه و هو سمة أهل الرأي وأهل الفكر.

ثُمرة العلم، العلم له ثمرة عظيمة وأول ثمراته سلامة الندين فالمفكر الإسلامية كما يقولون إنما يريد أنْ يحمل الناس على الندين أو أنْ يجعلهم كما يقولون في تصور إسلامي صحيح وهذا ليس نتيجة حتمية بل إنه في النتيجة العالبة أنْ لا يكون كذلك لكن العلم يحمل على سلامة الندين لأن العلم إذا اخذ بقواعده وأدلته وأصوله على منهج السلف الصالح فإنه يحمل على سلامة الندين وسلامة الاعتقاد وسلامة التصرف وسلامة النطر و سلامة التعاملات المختلفة مع اله أقع مع النفس مع الأهل مع حميم الأحوال و المستحتدات

النظر وسلامة التعاملات المختلفة مع الواقع مع النفس مع الأهل مع جميع الأحوال والمستجندات. أما الفكر والرأي فهو متقلب ولذلك تجد أن الناس لما لم يكن العلم حكما عليهم فإنهم كلما جدت لهم حادثة انتظروا الأفكار، انتظروا الأقوال فتظهر أفكار عشرة، عشرين في الواقعة الواحدة وكل يحلل بنفسه فتجد التفرقات وفي المجلس الواحد يتنوع الأربعة إلى أربعة أقوال وهذا رُوي وسيرى ما دام أنّ الفكر هو المرجع وأما إذا جعلنا العلم هو المرجع فإنه يسضيق الخلاف سيضيق حتى يكون الناس على تدين صحيح وظر صحيح

**أخيرا من ثمرات العلم** أنّ العلم يجمع والفكر يفرّق وهذه من كلمات مفتي الديار السعودية في زمنه الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله فإنه في وقته لما رأى انسياق الناس إلى الثقافات في آخر زمنه وترك الناس للعلم قبل أنْ تعرف الجماعات وقبل أنْ تعرف الطوائف والفئات في هذه البلاد قال تلك الكلمة لبعض خاصته ولبعض طلبة العلم فقال: ((أوصوا الناس بالعلم فإنّ العلم يجمع وإنّ الفكر والثقافة تفرق)) وهذا صحيح وقد رؤي ذلك فالعلم هو الذي يجمع والثقافة تفرق إذا نظرت إذا اختلفت مع أخر في مسألة وكان المرجع فيها هو العلم يرضخ الجميع خذ مسَّألة فقهية قُلت: والله الظاهر أنّ الحكم فيها كذا، والأخر يقول لا الظاهر أنّ الحكم فيها كذا، فرجعتهم إلى عالم فقال قولا اتفقتم على صحة قوله فاجتمعتم بعد اختلاف في الراي في تلك المسألة، الاختلاف في الفقهيات أمره سهل لكن كيف إذا كان الاختلاف في مسائل أعظم من ذلك، في مسائل تتعلق بمصير الأمَّة، بمصيرٌ دعوة، بالإصلاح بالأمر والنهي إلخ ذلك في الجهاد ونحو هذٍه الأمور، فإنّ الاختلاف إذا وقع دون الرجوع إلى أهل العلم بشر بالتفرق والمة أخذ عليها الميثاق أنْ تتبع الرسول عليه الصلاة والسلام كما أخذ على من قبلنا أنْ يتبعوا رسولهم أو أنّ يتبعوا رسلهم عليهم السلام وقد قال جلّ وعلا في النصارى: {ومن الذين قالوا إنّا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرين بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة} أخذ عليهم الميثاق أنْ يتبعوا العلم وأنْ يتركوا الرأي فما الذي صنعوا كما قال ابن شهاب الزهري: ((إنّ اليهود والنصاري ما صلت إلا بالراي)) اخذ على النصاري الميثاق أنّ يتبعوا العلم، أن يتبعوا ما ذكروا به واخذوا بالراي فما الذي حصل تفرّقوا والتفرق عقوبة من العقوبات قال جلّ وعلا: {ومن الذين قالوا إنّا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا -يعني تركوا- حظا مما ذكروا به} -من العلم- فأخذوا بالاراء والأهواء وفتفرقوا قال جلّ وعلا: {فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة} التفرق ليس مجرد فرقة لكن التفرق سيتبعه بغضا وسيتبعه شحناء وسيتبعه بغض حتى يكون بغضا في الله من أجل التفرق وسبب التفرق هو عدم أخذ العلم في الأصل واتباع الأراء، فالعلم جامع والثقافة والفكر تفرق، وهذا واضح في تاريخ الأمة وتاريخ ما حصل في العصر الحديث من أنواع التفرقات في الأفكار والمفاهيم وفي الفئات والجماعات حتى في العداوات بين المفكرين والكتاب واتخاذ نشأة المدارس المختلفة.

نلخص فنقول الفروق بين العلم والفكر والفرق بين العلم والفكر؟ العلم أدلته منصبطة أدلته معلومة هي ثلاثة عشر دليلا وبالتفصيل عشرون دليلا كما ذكر ذلك القرافي في كتبه الأصولية، أما الفكر فأدلته غير منصبطة الفكر سيًاح ترى مرة من أدلة المفكر حدث تاريخي ويستدل به على الحكم على نازلة وواقعة من الواقعات التي تحصل في هذا الزمن متى كان التاريخ دليلا؟ يأتي مفكر فيقول أهل بلد من البلاد كما ذكر المؤرخون أهل بلد من البلاد انصرفوا لما قلّ الخبز وكثر الجوع أو نحو ذلك بأن قاموا بمظاهرات عارمة فهذا أصل من أصول جواز المظاهرات في الإسلام حتى كان الاستدلال بمثل هذه الأشياء دليلا هذا فكر رأي وهذا الفكر غير صائب وهذا الرأي غير صائب لأنه استدلال المظاهرات غير منصبط الفكر سيّاح ممكن أن أقول أي كلمة وأستدل عليها بأي شيء ولكن الكلام ليس في أن تقول تعليلا وتفسيرا لرأيك بتاريخ والفكر غير منصبط الفكر سيّاح ممكن أن أقول أي كلمة وأستدل عليها بأي شيء ولكن الكلام ليس في أن تقول تعليلا وتفسيرا لرأيك الإنتاج العلمي وقال إنه في تاريخ المسلمين ما أنتج التقدم ولا الحضارة ولا الاكتشفات ولا أثرى المكتبة إلا أصحاب العقل أي العقلانيون، فهم الذين شجعوا الصناعة وشجعوا الأفكار الحضارية وتقدموا وانتجوا الطب والرياضيات إلخ فلا يعرف في المحدين من كان كذلك فهذا دليل على أن مدرسة أهل الحديث مدرسة قاصرة عن أن تقود الأمة نعم هم في الأحكام في آراء لكن فيما نفع به الناس الأمة فإنما هم كالمعتزلة ها المعتزلة هم الحقيقون بقيادة المة في الزمن الماضي وفي الزمن الحاصر في الأمكار العقلانية هي الأصول ودليل من الأدلة الذي فيه أنّ الفرقة الناجية إنما هم أهل السنة والجماعة وهم أهل العلم، وجود أولئك يحكم عليه أهل العلم هل هو الأصول ودليل من الأدلة الذي فيه أنّ الفرقة الناجم، والمعطيات الحضارية لا يحرمها أهل العلم هو مور حرمها أهل العلم، والمعطيات الحضارية لا يحرمها أهل العلم ومن حرمها فلقصور نظره أو لبعده عن فهم هم عن هم

مقاصد الشرع فأولئك يحكمون هم أطباء للقلوب، سائرون بالناس إلى الدار الآخرة فمن وجد ليقوِّم الحياة الدنيا ويعطي معطيات حضارية وصناعية واكتشافات طب وهندسة، وضوابط كيمائية وفيزيائية وفلكية في الأمة إلى آخره هذا إنما يحكم على فعله هل فعله صحيح أم غير صحيح ولا يعني أنّ ما ذكر من أنهم هم القادة بل القيادة معروفة إنما هي في الدين لأهل العلم لهذا ذلك الاستدلال الفكري هذا سيّاح غير منضبط، استدل بشيء من التاريخ في إبطال أصل من الأصول الشرعية وهناك من يقتنع بذلك ويردده في هذه المسألة.

الثاني من الفروق: أنّ العلم له أصول يوزن بها والفكر ليس له أصل يوزن بها إذا تكلم أحد في مسألة علمية فتستطيع أنْ تزن هل كلامه مقبول أم غير مقبول؟ هل كلامه قوي أم غير قوي؟ أما الفكر فما ضوابطه؟ ما أصوله؟ أريد أنْ أزن كلاما فكريا يعني من عامة الناس فيزن بأي شيء؟ لا يستطيع أن يصل إلى موازين معروفة، فالعلم له موازينهوأما الفكر فإنه غير منضبط وليس له موازين وأصول بُقيِّم بها إلاّ الرجوع إلى العلم فإنه هو الحكم عليه، العلم الأصل فيه المدح والأصل في أهله المدح وأما الفكر فهو الرأي والرأي الأصل فيه الذم وهذا فرقٌ عظيمٌ بين الأمرين.

الرابع: العلم حاكم على الفكر حاكم على الأفكار والرأي والفكر محكوم عليه وهذا فرق مهم بين هذا وذاك.

الخامس: وهذا تلخيص لما سبق العلم جامع ويجمع الأمة ويبد الفرقة، ويقلل الاختلاف ويقلل المدارس المختلفة، أما الفكر والرأي فإنه يفرق ويزيد من المختلف وهذا الاختلاف وكثرة المدارس تنتج تحزبات تنتج آراءًا يتبعها مواقف شتى.

آخر كلمة في هذا البيان أنّ ما ذكر نريد منه الوصول إلى نتيجة مهمة ألا وهي أنّ العلماء في دين الأمة وفي مواقفها هم القادة هم الذين بُيبُنون للناس ما يحل ويحرم؟ ما ينبغي اتخاذه وما لا ينبغي اتخاذه، ما يجوز وما لا يجوز كيف تتخذ المواقف كيف يحكم على الأوضاع، على الأفكار إلى النس ما يحل ويحرم؟ ما ينبغي اتخاذه وما لا ينبغي اتخاذه، ما يجوز وما لا يجوز كيف تتخذ المواقف كيف يحم المرجع في أمر الدين، فإذا كان المفكرون هم قادة الدعوات، وإذا كان المفكرون هم رؤساء الجماعات فإنه لا شك سينتج... الجماعات والمدارس في بعض البلاد كيف آلى بهم الأمر يعادي بعضهم بعضًا وأن يقتل بعضهم بعضا خسأل الله جلّ وعلا السلامة والعافية وأذا المفكرون لا يصلحوا أنْ يكونوا قادة في أمر الدين لا يصلحون أنْ يكونوا حكامًا على الأوراء حكامًا على الأراء حكامًا على الأوراء معاد والمؤلد لا يصلح أنْ يعوض بفكره المصالح والمفاسد، فيقول الله والمناهدة والذين يقول والمفسدة من بقي والمفسدة في كذا ما دليلك هذه هي المصلحة وهذه هي المفسدة، يقيم وضعًا اجتماعيًا يقيَّم دولة يقيم موقفا من المواقف، ويقول المصلحة في كذا والمفسدة هم أهل الشرع لأن يعكر والشريعة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها، إذًا متى يصح من المفكر أنْ يفكر وأنْ يكون كذلك؟ وأله محكوما بالعلم.

وفي النهاية نصيحة موجهة إلى شباب الأمة وإلى المفكرين وإلى أهل العلم أنْ يقوموا بواجب العلم وأنْ يقيموا الأمة على العلم وأنْ يوسعوا قاعدة العلم لأنّ الأمة أشد ما تكون حاجة إلى العلم والعام هو القاعدة قرّر ذلك جمع من العقلاءن والمفكرين بعد أهل العلم فالجميع متفق على أنّ القاعدة التي تنطلق منها الأمة هي العلم ولكن من الذي يأخذ بذلك الناس بحاجة إلى العلم ولكن من الذي يأخذ بذلك، الناس بحاجدة إلى العلم بحاجة إلى من يرجعهم إليه من يبينه لهم إلخ ذلك الفكر والكتابات الفكرية لابذ أنْ تقيمها لا تعتمد على أفكار الكتاب، لا تكن قراءتك في الكتب العلم، الأفكرية هي الغالبة عليك في يومك وليلتك، إنما ليكن الغالب العلم، لأنّ العلم هو الذي ينور الصدور، أما الفكر فإنما هو رأي، وإذا جعلت العلم هو الأصل كان الفكر في مكانه الصحيح وكنت سائرا بتثقيف وبفكر يمكن أنْ تخوض به فيما يخاض به في المجتمع من الأفكار والأقوال لكن إنْ كان علمك قليلاً فإنك تكون ريشة في مهب رياح الأفكار وهذا لا شك يقود إلى خلل في الفكر وخلل في التفكير.

كتابات المفكرين الذين يكتبون الكتابات المختلفة من الموجودين المعاصرين أو ممن توفاهم الله جلّ و علا يجب أنْ تضعهم في مكانهم الصحيح و أنء لا تكون تلك الكتابات حَكما ولا مدرسة و لا قيادة و إنما هي شواهد و إنما هي أفكار يقبل منها ويرد.

هذا وأسأل الله جلّ وعلا أنْ يجعلنا وإياكم من الدعاة إلى سبيله وأنْ يختم لنا بالحسنى، وأنْ يجعلنا ممن رضي عنهم وأرضاهم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.